المرصد العربي
للعلوم الاجتماعية
Arab Social
Science Monitor
Observatoire Arabe
des Sciences Sociales

الدراسات التاريخية في العالم العربي في القرن الحادي والعشرين

محمد عفيفي

ورقة خلفية للتقرير الرابع للمرصد العربي للعلوم الاجتماعية

2023

صدر عن المجلس العربي للعلوم الاجتماعيّة
بناية علم الدين، الطابق الثاني
شارع جون كينيدي، رأس بيروت
بيروت، لبنان

2023 ©

إنّ هذا العمل متوفر تحت رخصة المشاع الإبداعي نسب المصنف 4.0 دولي (CC By 4.0). وبموجب هذه الرخصة، يمكنك نسخ، وتوزيع، ونقل، وتعديل المحتوى من دون مقابل، شرط أن تنسب العمل إلى صاحبه بطريقة مناسبة (بما في ذلك ذكر اسم المؤلف، وعنوان العمل، إذا انطبقت الحالة)، وتوفير رابط الترخيص، وبيان إذا ما أجريت أي تعديلات على العمل. لمزيد من المعلومات، الرجاء مراجعة الترخيص هنا: https://creativecommons.org/licenses/by/4.0.

إنّ التسميات المستخدمة في هذا العمل وطريقة عرض المواد فيه لا تعبّر ضمنًا عن أيّ رأي للمجلس العربي للعلوم الاجتماعيّة بشأن الوضع القانوني لأيّ بلد أو إقليم أو مدينة أو منطقة، ولا بشأن سلطات هذه الأماكن أو رسم حدودها أو تخومها.

إنّ الأفكار والآراء الواردة في هذا العمل هي آراء المؤلف/ة ولا تعبّر بالضرورة عن وجهات نظر المجلس العربي للعلوم الاجتماعيّة، ولا تلزمه بها.

بـدأت الدراسـات الأكاديميـة التاريخيـة مـع نشـأة أقسـام التـاريخ فـي الجامعـات العربيـة، وارتـبط ذلـك إلـى حـدٍ كبيـر بـإعلان اسـتقلال هـذه الـدول العربيـة؛ إذ ارتبطـت نشـأة الجامعـات الحكوميـة بمبـدأ الاسـتقلال الفكـري كضـرورة ملازمة ومصاحبة للاستقلال السياسي.

مـن هنـا اتجهـت معظـم الدراسـات التاريخيـة العربيـة إلـى تنـاول تـاريخ الأُسـر الحاكمـة فـي البلـدان العربيـة ذات النظـام الملكـي مـن أجـل شـرعنة هـذه الأنظمـة، وتحـول التـاريخ الملكـي إلـى التـاريخ الرسـمي للدولـة. أمـا فـي البلـدان العربيـة ذات النظـام الجمهـوري، انصـب اهتمـام الدراسـات الأكاديميـة علـى تنـاول تـاريخ الحركـة الوطنيـة، فـي إطـار شـرعنة النظـام الجديـد، والتأكيـد علـى أن الاسـتقلال جـاء مـن خـلال حركـة "جهـاد وطنـي". وفـي بعـض الـدول الملكيـة حـدث التـداخل بـين تنـاول تـاريخ الأسـرة المالكـة وتـاريخ الحركـة الوطنيـة، مثلمـا حـدث فـي حالـة المغـرب وليبيا السنوسية.

مـن هنـا سيسـود طـابع مدرسـة "التـاريخ الـوطني" فـي معظـم أقسـام التـاريخ فـي المنطقـة العربيـة. وربمـا سـتحدث بعـض التغيـرات علـى ذلـك الاتجـاه فـي السـتينات والسـبعينات فـي بعـض البلـدان العربيـة، لا سـيما فـي مصـر ولبنـان تحت تأثير مدرسة "المادية التاريخية" والتفسير المادي للتاريخ.

ولمـا كانـت هنـاك العديـد مـن الدراسـات السـابقة عـن تطـور الدراسـات التاريخيـة فـي المنطقـة العربيـة، فإننـا سـنركز فـي ورقتنـا علـى تنـاول المتغيـرات المهمـة فـي حقـل تعـاطي التـاريخ فـي العقـدين الأخيـرين، وربمـا يرجـع ذلـك إلـى عظـم المتغيـرات الحـادة التـي طـرأت علـى منطقتنـا، بـل والعـالم بأكملـه فـي هـذين العقـدين، وسـنركز علـى إلقـاء الضوء على بعض الظواهر المهمة في هذا الشأن.

إن ظـاهرة تعـاطي التـاريخ خـارج المؤسسـة الأكاديميـة هـي ظـاهرة قديمـة، وموجـودة دائمًـا. وربمـا يرجـع ذلـك إلـى أن المُسـتَجَد هـو تعـاطي التـاريخ مـن خـلال المؤسسـة الأكاديميـة مـع أفكـار التحـديث ونشـأة الجامعـات الحديثـة، وظهـور أقسـام التـاريخ بهـا. إلا أننـا نلاحـظ تعـاظم ظـاهرة التعـاطي مـع التـاريخ خـارج المؤسسـة الأكاديميـة خاصـةً مع التحولات العميقة في المجتمعات العربية منذ مطلع الألفية الثالثة.

ولعـل ازدهـار الروايـة التاريخيـة، لا سـيما فـي العقـدين الأخيـرين، هـو أكبـر مظـاهر التعـاطي مـع التـاريخ خـارج المؤسسـة. ونعتقـد أنـه مـن المهـم- وربمـا يكـون مـن المثيـر أيضًـا- النظـر إلـى قائمـة الروايـات الفـائزة بجـائزة البـوكر العربيـة، وهـي الجـائزة التـي أصـبحت أرفـع الجـوائز الأدبيـة فـي العـالم العربـي؛ إذ نلاحـظ أن معظـم هـذه الروايـات تنتمـي إلـى صـنف الروايـات التاريخيـة، أو علـى أقـل تقـدير روايـات الأجيـال. وبـدأ مـنح الجـائزة فـي عـام 2008، حيـث فـاز بهـا الأديـب المصـري الكبيـر "بهـاء طـاهر" عـن روايتـه "واحـة الغـروب" والتـي تـدور أحداثها فـي مصـر عنـد نهايـات القـرن التاسـع عشـر، ورحلـة البحـث عـن مقبـرة الإسـكندر فـي واحـة سـيوة. وبـالطبع مـن الممكـن النظـر إلـى ذلـك علـى أنـه مـن الطبيعـي أن يحصـد بهـاء طـاهر الجـائزة الأولـى نظـرًا لمكانتـه الأدبيـة المرموقـة، وربمـا يكـون هـذا صـحيحًا، لكـن رؤيتنـا حـول ازدهـار الروايـة التاريخيـة وسـيادتها فـي المشـهد الأدبـي العربـي تتأكـد عنـدما نعـرف أنـه فـي العـام التـالي سيحصـد الأديـب المصـري أيضًـا "يوسـف زيـدان" الجـائزة نفسـها عـن روايتـه "عزازيـل"، وهي رواية عن التاريخ القبطي، والتي أثارت جدلاً كبيرًا في الأوساط الثقافية.

وإذا صـعدنا مـع قائمـة الروايـات الفـائزة بجـائزة البـوكر العربيـة إلـى العـام الماضـي 2021، سـيتأكد لنـا عمـق واسـتمرارية هـذه الظـاهرة؛ إذ حصـد الأديـب الأردنـي "جـلال بـرجس" الجـائزة عـن روايتـه "دفـاتر الـورَّاق"، حيـث يعـود زمـن الروايـة إلـى عـام 1947 ويمتـد إلـى عـام 2019، كمـا تـدور أحـداث الروايـة بـين عمـان وموسـكو، مـع المتغيـرات المحليـة والعالميـة. وفـي العـام قبـل الماضـي- أي 2020- حصـد الأديـب الجزائـري "عبـد الوهـاب عيسـاوي" الجـائزة عـن روايتـه "الـديوان الإسـبرطي"، وهـي فـي الحقيقـة تسـتعرض تـاريخ احـتلال الجزائـر مـن منظـور روائـي. وربمـا تتأكـد الظـاهرة أكثـر وأكثـر إذا قمنـا بدراسـة متعمقـة لبقيـة الروايـات الفـائزة بالجـائزة فـي السـنوات الأخـرى، وهـي فـي معظمهـا كمـا أشـرنا تنتمـي إلـى صـنف الروايـات التاريخيـة أو روايـات الأجيـال. وربمـا تقودنـا الدراسـة إلـى النظـر فـي مجمـل الروايـات المتقدمـة أصـلاً إلـى الجـائزة، ليتأكـد لنـا ظـاهرة الصـعود الكبيـر للروايـة التاريخيـة. إلا أن هـذا الأمـر يسـتحق دراسـة منفصـلة مُعمقـة، وربمـا فريـق عمـل أو تعـاون بـين مـؤرخ وناقـد أدبي أو متخصص في الدراسات الثقافية.

وتتأكـد ظـاهرة التعـاطي مـع التـاريخ خـارج المؤسسـة إذا أولينـا اهتمامًـا بهـذا المسـتجد الكبيـر فـي حياتنـا فـي العقـدين الأخيـرين، وأقصـد بـذلك وسـائل التواصـل الاجتمـاعي؛ إذ يسـترعي الانتبـاه انتشـار الصـفحات والمواقـع المهتمـة

بالتاريخ على وسائل التواصل الاجتماعي. ويُلاحظ أن بعض هذه الصفحات والمواقع تعود لأساتذة تاريخ، ولكن أغلبها يعود لمهتمين بالتاريخ أو حتى مَن نُطلِق عليهم "مؤرخين هواة"*.

وتتعدَّد موضوعات واهتمامات هذه الصفحات والمواقع وتختلف فيما بينها، لكنها تشترك في كونها تُغطي موضوعات تشغل الرأي العام، أو تُقدِم موضوعات جديدة لا تهتم بها الأوساط الأكاديمية بالشكل الكافي. وسنقدم بعض الأمثلة الدالة في هذا الاتجاه، مع الأخذ في الاعتبار أنها على سبيل المثال وليس الحصر؛ إذ نجد صفحة على موقع الفيسبوك Facebook بعنوان "سيرة المحروسة" وهي معنية بتاريخ القاهرة. ومن المهم النظر إلى ذلك في إطار ما تشهده القاهرة من تطورات عمرانية يرى فيها البعض خطورة على تاريخ وآثار القاهرة الممتد لأكثر من ألف عام.

كما نجد صفحات عابرة للحدود السياسية، ومتجاوزة للخلافات الإقليمية، مع حنين إلى الحدود الطبيعية التاريخية، مثل صفحة "تاريخ المغرب الإسلامي وحضارته"، وهي صفحة تُعنى بتاريخ بلاد المغرب العربي، والنظر في المشترك بين بلدانه: ليبيا وتونس والجزائر والمغرب.

كما نجد صفحات تقدم الجديد في مجال الدراسات التاريخية، لا سيما الاتجاهات التي للأسف لا تهتم بها المؤسسات الأكاديمية في المنطقة العربية. ومن أهم أمثلة ذلك صفحة "تاريخ مرئي" والتي تهتم بالوثيقة المرئية، وخاصةً الصورة الفوتوغرافية والفيلم السينمائي. ويتضح سعي الصفحة نحو تاريخ جديد من المنشور الذي يتصدر الصفحة: "نحن بحاجة إلى أشكالٍ أخرى من السرد التاريخي، تُحَرِّر التاريخ من إطاره ليلائم منجزات العصر"، وهي مقولة المؤرخ Robert A. Rosentone.

كما دخلت بعض الصفحات إلى مجال المراجعة التاريخية، وخاصةً بعد الجدل حول التاريخ العثماني، ومحاولة توظيف ذلك في الصراعات السياسية الدائرة في المنطقة، ومن هذه الصفحات صفحة "حبر أبيض" على تويتر.

ودخلت أيضًا الصالونات الثقافية، وحتى التي تبث فعالياتها عبر العالم الافتراضي، مجال الاهتمام بالتاريخ. ولعل صالون الشاعر الكبير "زين العابدين فؤاد" من أهم الأمثلة في هذا المجال؛ إذ اهتم الصالون الأسبوعي بتقديم حلقة شهرية حول "هذا الشهر في تاريخنا". ولم يقتصر الصالون على معالجة حوادث التاريخ المصري، وإنما اهتم أيضًا بمجريات التاريخ العربي؛ إذ قدم حلقات حول الحرب الأهلية اللبنانية، والغزو الإسرائيلي لبيروت في عام 1982.

ومن الأمثلة التي تدعم ظاهرة تعاظم تعاطي التاريخ خارج المؤسسة الأكاديمية، وظهور نوافذ جديدة للمعرفة التاريخية- حتى لو اختلفنا حول موضوعيتها أو حتى مصداقيتها- مسألة الجدل حول بعض الشخصيات التاريخية، أو مراجعة بعض الحوادث التاريخية عبر برامج "التوك شو" في الفضائيات. ولعل أحاديث يوسف زيدان وإبراهيم عيسى وغيرهم، خير مثال على ذلك، فحتى لو رفض البعض منا طريقة التناول والتعاطي للأحداث التاريخية على الفضائيات، والميل أحيانًا إلى ما يمكن أن نسميه "الفرقعة الإعلامية"، إلا أن من إيجابيات ذلك طرح التاريخ بقوة على الساحة المجتمعية، وجذب قطاعات من الشباب للاهتمام بالتاريخ.

وربما كان ذلك سببًا في اهتمام بعض الفضائيات الخاصة، في سابقةٍ من نوعها، إلى تقديم برامج عن التاريخ، الذي لم يكن يهتم به الإعلام الخاص من قبل**.

وربما يدفعنا ذلك إلى طرح السؤال المحوري في هذه الورقة وهو: ما هو السر وراء تعاظم ظاهرة تعاطي التاريخ خارج المؤسسة الأكاديمية في المنطقة العربية؟

بعد طول بحث ونظر وجدتني أطرح على نفسي فرضية أن السر وراء ذلك ربما يعود إلى تقليدية وضعف المؤسسة الأكاديمية في منطقتنا العربية، لا سيما في العقد الأخير. وتجلى ذلك في عجز هذه المؤسسة عن

* انظر بعض هذه الصفحات والمواقع في ملحق البحث.

** على سبيل المثال برنامج "قعدة تاريخ"، ويعده ويقدمه وليد فكري على قناة CBC، وبالمناسبة هو خريج حقوق.

استيعاب وتفهم، فضلاً عن القدرة على تقديم استجابة، للتحولات الكبرى التي تمر بها المجتمعات العربية في اللحظة الحاضرة.

ودفعني ذلك إلى التواصل مع بعض الزملاء المؤرخين في عدة جامعات عربية، ومن بلدان متعددة، تغطي إلى حدٍّ ما التقسيمات الجغرافية للمنطقة، لا سيما التقسيم الشهير: "مغرب - مشرق"*.

وَانْصَبَّ اهتمامي أساسًا على رصد حال ومشاكل المؤسسة الأكاديمية التاريخية في منطقتنا العربية. وبالقطع فإن موضوعًا مثل ذلك من الصعوبة بمكان، وربما يحتاج لجهد فريق عمل موسَّع، ولكننا سنحاول استعراض ما توصلنا إليه سواء بناءً على خبرتنا الطويلة في هذا المجال، أو من خلال ردود وتعليقات الزملاء في شتى أنحاء العالم العربي.

كان تساؤلي الأول والأهم بحكم خبرتي الأكاديمية، هو مسألة التواصل والتعاون بين أقسام التاريخ في الجامعات العربية. والحق أن إجابة كل الزملاء كانت بضعف- إن لم يكن انعدام- التواصل أو التعاون بين أقسام التاريخ في المنطقة العربية. وربما تأكد لديَّ هذا الشعور وهذه النتيجة من جراء رئاستي لقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة القاهرة لمدة تسع سنوات. وهو للعلم من أقدم- إن لم يكن أقدم- أقسام التاريخ في المنطقة العربية؛ إذ لا توجد آلية محددة لدعم هذا التواصل، أو حتى إقامة فعاليات علمية مشتركة، ناهيك عن برامج تبادل للأساتذة أو الطلاب**.

والحالة البارزة، وربما الوحيدة، لتعاون بعض أقسام التاريخ في المنطقة العربية، كانت التعاون بين الجامعة الأردنية في عمان وجامعة اليرموك في أربد في الأردن، وجامعة دمشق في سوريا، في تنظيم المؤتمر الدوري لتاريخ بلاد الشام. وقد شاركت شخصيًا في أحد هذه المؤتمرات الهامة، والتي كان يشارك فيها مؤرخون من فلسطين ولبنان، وأحيانًا من بلدان عربية أخرى. لكن هذا التعاون المثمر والمهم تأثر بشدة بالمتغيرات السياسية بعد أحداث الربيع العربي، لا سيما تدهور الأوضاع في سوريا، وبالتالي صعوبة التعاون مع جامعة دمشق، الشريك الأساسي في هذا المؤتمر. وتحاول الآن بعض الشخصيات الأردنية الفاعلة إعادة إحياء هذا المؤتمر المهم، وربما تساعد محاولات التقارب العربي على عودة هذه الفعالية المهمة في مجال الدراسات التاريخية، ليس فقط على مستوى بلاد الشام، وإنما المشرق العربي.

من ناحيةٍ أخرى ترك تراجع دور المجتمع المدني في منطقتنا العربية تأثيره على المؤسسات المهنية للمؤرخين، ونقصد بذلك "الجمعيات التاريخية"، والتي كانت تلعب سابقًا دورًا مهمًا في إثراء ليس فقط مجال الدراسات التاريخية، وإنما المشهد الثقافي بوجهٍ عام. ولنضرب مثلاً بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية، وهي من أقدم الجمعيات العلمية غير الحكومية في مصر؛ إذ تم تأسيسها في عام 1945 بمرسوم ملكي تحت اسم "الجمعية الملكية للدراسات التاريخية"، وكان لها دورًا مهمًا على المستوى المصري والعربي. وتعاني الجمعية الآن من الكثير من المشاكل لعل أهمها تبعية الجمعية إلى وزارة التضامن الاجتماعي، التي تُشرِف على الجمعيات بشكلٍ عام، دون النظر إلى تخصصها أو دورها التاريخي، سواء كانت جمعية خيرية لتكفين ودفن الموتى، أو جمعية علمية أو ثقافية! يضاف إلى ذلك الضائقة المالية التي تعاني منها الجمعية، وتجِّد من قدرتها على إثراء الدراسات التاريخية.

وإذا أردنا التركيز على هذه النقطة، ونقصد بها ضعف وتعثر دور المؤسسات المهنية للمؤرخين، ربما يكون من الجدير بالنظر أيضًا حالة العراق؛ إذ اشتهر العراق بتشجيعه للدراسات التاريخية، كما قدم مجموعة من أشهر المؤرخين على مستوى المنطقة العربية. لكن "جمعية المؤرخين والآثاريين العراقيين" تأثرت بشدة بالغزو الأمريكي للعراق في عام 2003، مثلها مثل العديد من مؤسسات المجتمع العراقي. وجرت محاولة لإعادة إحياء الجمعية من جديد في عام 2005، لكن الجمعية سرعان ما توقفت مرةً أخرى لأسباب خاصة بالخلافات المجتمعية، هذا فضلاً عن بعض المشاكل القانونية الخاصة بإعادة التأسيس.

وحتى على المستوى الإقليمي العربي نشهد ظاهرة ضعف المؤسسات المهنية للمؤرخين العرب بشكلٍ عام، ونقصد بذلك على وجه التحديد "اتحاد المؤرخين العرب". كان الاتحاد مؤسسة نشطة إلى حدٍ كبير، وقام بالعديد من الفعاليات، وكانت بغداد هي مقر الاتحاد. وأدى غزو صدام للكويت في عام 1990 إلى مطالبة

* نجد في الملحق قائمة بأسماء الزملاء الذين اشتركوا في هذا الاستبيان الشفوي.

** وهنا ربما من المهم أن يقوم اتحاد الجامعات العربية، ومقره عمان، بدور في هذا الشأن.

العديد من المؤرخين العرب بنقل مقر الاتحاد من بغداد، وأشار البعض إلى وجود تأثير من القيادة السياسية في بغداد على مجريات الأمور في الاتحاد. ولكن رئيس الاتحاد رفض نقل مقر الاتحاد من بغداد، وترتب على ذلك أن دعى بعض المؤرخين العرب إلى إقامة اتحاد جديد للمؤرخين العرب، وبالفعل أصبحت القاهرة مقرًا له. وهكذا أصبح هناك اتحادان ولا يعترف كلاهما بشرعية الآخر، ومع مرور الوقت وضعف الدعم المادي من حكومات عربية، تراجع دور وتأثير كلا الاتحادين. الأكثر من ذلك أن جامعة الدول العربية لم توافق على وضع اتحاد المؤرخين العرب فرع القاهرة تحت مظلتها ودعمها، كما رفضت الاعتراف بفرع بغداد. ورويدًا رويدًا تلاشى اتحاد فرع بغداد، واضطُر اتحاد المؤرخين العرب فرع القاهرة إلى توفيق أوضاعه القانونية وفقًا للقانون المصري للجمعيات الأهلية، وأصبح هذا الاتحاد جمعية أهلية وفقًا للقانون المصري، مع وجود بعض المؤرخين العرب ضمن أعضاء مجلس إدارته. ويعاني الاتحاد الآن من هذا الوضع، ويُطالِب بعمله تحت مظلة جامعة الدول العربية، كما يعاني الآتحاد الآن للأسف من ضائقة مالية تؤثر بشدة على نشاطه العلمي والمهني.

ومن المشاكل المزمنة بالنسبة لحقل الدراسات التاريخية بشكلٍ عام، مسألة ضعف التواصل بين مؤرخي المشرق والمغرب. وبالقطع تلعب المشكلات السابق الإشارة إليها دورًا مهمًا في هذا الشأن، ونقصد بذلك ضعف التعاون بين أقسام التاريخ في الجامعات العربية، فضلاً عن محدودية دور الروابط المهنية للمؤرخين. وبشكلٍ عام يأخذ المؤرخون المغاربة على المؤرخين المشارقة، أن المغاربة أكثر تعرفًا على الدراسات التاريخية والمؤرخين في المشرق. على الرغم من القفزات الكبيرة في مجال الدراسات التاريخية في بلاد المغرب نتيجة احتكاكهم بالمحافل التاريخية الأوربية، لا سيما فرنسا وأسبانيا، هذا فضلاً عن تأثير مدرسة الحوليات الفرنسية على المؤرخين المغاربة لأسبابٍ لغوية وتاريخية.

ومن المشاكل المجتمعية المزمنة، والتي تُلقي بظلالها على حركة كتابة التاريخ في المنطقة العربية، مسألة الصراعات العرقية والمذهبية والطائفية، والتي تؤثر إلى حدٍ كبير على المصداقية التاريخية، أو قيام حركة نشطة لمراجعة التاريخ، أو حتى تاريخ مشترك في البلد الواحد. وربما ينعكس ذلك بشدة على كتب التاريخ المدرسية، وهي نقطة تستحق في الحقيقة الدراسة من خلال فريق عمل على المستوى العربي.

وهناك بعض المتغيرات في مجال الدراسات التاريخية في الفترة الأخيرة، لا سيما مع تقلبات الربيع العربي وانعكاساته على البلاد والعباد؛ إذ نلاحظ أن هناك اقترابًا متزايدًا نحو دراسة التاريخ المعاصر، لا سيما في البلدان التي تأثرت إلى حدٍ ما بالربيع العربي. ويمكن أن نرصد بدايات ذلك في العراق بعد الغزو الأمريكي في عام 2003؛ إذ أمكن الاقتراب أكثر من فترات معاصرة من التاريخ العراقي خاصةً بعد زوال حكم البعث. كما بدأت بعض الدراسات في الاهتمام بالتاريخ الأمريكي، لا سيما المعاصر منه، في محاولةٍ لفهم ما جرى.

وبدأت محاولات من جانب بعض المؤرخين لا سيما في المغرب وتونس للاقتراب مما يعرف بتاريخ الحاضر، أو التاريخ الآني، في محاولةٍ لتفسير ما حدث في ومع الربيع العربي. وبدأ ذلك مبكرًا في المغرب في عام 2012 في شكل كُتيب جماعي شارك فيه المؤرخ المغربي الكبير "عبد الأحد السبتي"، وكان موضوعه شديد الإثارة "أسئلة حول انطلاق الربيع العربي". والمثير أيضًا أن يصدر مثل هذا الكتاب من دار نشر جامعية وهي منشورات كلية الآداب جامعة الرباط.

وفي تونس شجع زوال نظام "بن عليّ" المؤرخين التونسيين على الاقتراب أكثر من تاريخ الحاضر، سواء في الكتابة عن منهجية المعالجة، أو تدوين وتحليل الأحداث. ومن المهم أن نشير في ذلك إلى أهمية أعمال الهادي التيمومي والحناشي وفتحي ليسير وخالد عبيد. وبالقطع لعبت تطورات الربيع العربي دورًا في تشجيع هذا الاتجاه، لكن لا يمكن إنكار تأثير مدرسة الحوليات في الاهتمام بتاريخ الحاضر.

لكن بشكلٍ عام نلاحظ عزوف الكثير من المؤرخين في أغلب البلدان العربية عن الاقتراب من التعاطي مع تاريخ الحاضر، وربما يرجع ذلك إلى قصور مناخ الحريات، فضلاً عن المتغيرات السياسية، لكن لا ننكر أيضًا ضعف التأهيل المنهجي للمؤرخين فيما يتعلق بتاريخ الحاضر.

وعلينا أن نسجل بعض الظواهر المهمة المتعلقة بحال التاريخ في منطقتنا العربية في العقد الأخير. وأول هذه الظواهر هو علاقة الدولة بالتاريخ، أو في الحقيقة استدعاء التاريخ لتدعيم مكانة الدولة وخاصةً في الأوقات الصعبة، وهي ظاهرة قديمة- جديدة. ونلاحظ ذلك في الاحتفال الرسمي بذكرى "المئويات" في منطقتنا العربية؛ إذ احتفلت مصر رسميًا وشعبيًا بمئوية ثورة 1919، رغم اختلاف طبيعة النظام الحالي عن نظام ما قبل 23 يوليو 1952. لكن الاحتفال أخذ طابع الاحتفاء بتاريخ الدولة المصرية وتطورها بشكلٍ عام. ويُذكِرنا

ذلك باحتفال مصر في عام 2005 بمناسبة مرور "مائتي عام على الدولة الحديثة المدنية في مصر" نسبةً إلى تولي محمد عليّ الحكم في عام 1805. والحق أن الدولة المصرية في ذلك الوقت وظفت الاحتفال في إطار صراعها مع الإسلام السياسي.

كما احتفل الأردن أيضًا في عام 2021 بمئوية الدولة الأردنية، وكان الاحتفال رسميًا وشعبيًا. ومن المهم تفهم أهمية الاحتفال والاستناد إلى التاريخ والمنطقة تمر الآن بظروف صعبة واستثنائية.

من ناحية أخرى كانت لجائحة كورونا أثارًا إيجابية فيما يتعلق بالدراسات التاريخية؛ إذ أعادت الاهتمام من جديد بتاريخ الجوائح في عالمنا العربي، ولعل أهم الدراسات في هذا الشأن العمل المشترك الذي قام به مجموعة من المؤرخين المغاربة، وحرره سعيد الحاجي، وصدر في مراكش في عام 2020، وفي وقتٍ مبكر من تفشي الجائحة، كما يلفت نظرنا بشدة العنوان المثير الذي صدر به الكتاب: "أي دور للمؤرخ في فهم أزمة كورونا؟".

كما صدر عن جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، في المغرب في العام نفسه- 2020- كتابًا جماعيًا أخر، تحرير جمال الكركوري تحت عنوان مثير أيضًا: "الحياة في زمن الفيروس التاجي".

وفي مصر، في العام نفسه 2020، أصدر محمد أبو الغار كتابه المهم "الوباء الذي قتل 180 ألف مصري"؛ حيث أعاد إلى الأذهان مأساة وباء الأنفلونزا الأسبانية الذي اجتاح مصر والعالم في عام 1918.

كما دفع العزل القسري الذي فُرِض على البلاد والعباد في بدايات جائحة كورونا وتوقف التعليم والفعاليات العلمية، إلى تشجيع التواصل عن بُعد، وتنظيم العديد من الفعاليات العلمية التاريخية عبر المجال الافتراضي. ونجحت هذه الحالة في جمع العديد من المؤرخين سويًا، متجاوزًة مشاكل صعوبة الحصول على "الفيزا" تأشيرة الدخول في بعض بلادنا العربية أو تكاليف السفر ورسوم الاشتراك في المؤتمرات، وجعل هذا الوضع الجميع أمام التفكير في شكل وطبيعة الفعاليات العلمية مستقبلاً.

ملحق رقم 1

نماذج لبعض الصفحات والمواقع التي تتعاطى مع التاريخ

- صفحة "سيرة المحروسة"، فيس بوك:
https://www.facebook.com/Sira.ALMahrosa/

- حبر أبيض، تويتر. وتهتم بإعادة النظر في تاريخ الدولة العثمانية:
https://twitter.com/whiteinkinfo?s=20&t=JB1eZmNzw8QhGpHHzV4ijg

- جروب "تاريخ المغرب الإسلامي وحضارته"، فيس بوك:
https://www.facebook.com/groups/181336871920925

- جروب "تاريخ مرئي"، فيس بوك:
https://www.facebook.com/groups/181336871920925

- صفحة "التأريخ والأدب"، فيس بوك:
https://www.facebook.com/tarikwadb

- جروب "معين التاريخ لأهل التاريخ"، فيس بوك:
https://www.facebook.com/groups/main.altarikh

- جروب "سيمنار القاهرة للوثائق والمصادر التاريخية"، فيس بوك:
https://www.facebook.com/groups/571664706376805

- جروب "سيمنار القاهرة التاريخ وآفاق المعرفة"، فيس بوك:
https://www.facebook.com/groups/49685416048760

ملحق 2

قائمة بأسماء الزملاء المؤرخين الذين شاركوا في الاستبيان الشفوي*

- صباح رميض: جامعة بغداد، العراق.
- طلال الطريفي: جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية.
- لطفي بن ميلاد: جامعة منوبة، تونس.
- محمد حبيدة: جامعة ابن طفيل القنيطرة، المغرب.
- محمد العناقرة: جامعة اليرموك، الأردن.
- مهند مبيضين: جامعة اليرموك، الأردن.

* القائمة مُرتبة أبجديًا.